التفسير بين القدامى والمحدثين
(ابن كثير ومحمد ر شيد رضا نموذجا)

أ.فتحية محمد علي أحمد محمد
قسم اللغة العربية والعلوم الإسلامية - كلية التربية-جامعة كسلا

د. عبد ربه محمد أحمد محمد
أ.مشارك – قسم القرآن الكريم وعلومه- كلية الدراسات الإسلامية – جامعة كسلا

المستخلص:

تهدف الدراسة إلي التعرف علي مناهج التفسير عند القدامى والمحدثين حيث تتناول مصادر التفسير ومناهجه عند كل فريق و تقوم علي توضيح بعض المعاني لوجوه التفسير ومناهجه والعلاقة بينهما، وتوضيح اقوال بعض العلماء والمفسرين في ذلك.كذلك تبحث الدراسة عن نشأة التفسير وتطوره، وعن مناهج المفسِّرين وطرائقهم في شرح كتاب الله تعالى، وعن ألوان التفسير في عصر القدامى وهذا العصر الحديث وذكر بعض البحوث والمواضيع التي تدور حول التفسير، من تطرق الوضع إليه، ودخول الإسرائيليات فيه، وما يجب أن يكون عليه من يريد أن يفسر القرآن و يحاول فهم معاني القرآن.

الكلمات المفتاحية: التفسير- المناهج- القدماء -المحدثين

Interpretation between the Ancients and the moderns (Ibn Kathir, Mohammed Rashid Rida as Examples)

A. Fathia Mohamed Ali Ahmed Mohamed
Dr. AbdRabbo Mohamed Ahmed Mohamed

Abstract :

This study aims to explore the methodologies of Quranic exegesis employed by ancient and modern scholars, examining the sources and approaches utilized by each group. It elucidates the meanings of various aspects of interpretation, the methodologies employed, and the interrelationship between them, while also highlighting the perspectives of renowned scholars and exegetes. Furthermore, the study investigates the origins and development of Quranic exegetes, and their methods in explicating the Divine Book. It also discusses the type of interpretation in ancient and modern times, citing relevant research and topics, including the incorporation of Isra'iliyyat and the prerequisites for those seeking to interpret the Quran and comprehend its meanings.

Keywords: Tafsir (Quranic Exegesis), Methodologies, Ancients, Moderns.

المقدمة:

الحمد لله ولينا الذي أخرجنا من الظلمات إلي النور والصلاة والسلام علي خيرته من خلقه سيدنا محمد بن عبد الله الذي اصطفاه الله تعالي ليخرج الناس من ظلمات الجهل ويدلهم علي طريق الإسلام بإذن ربهم العزيز الغفور ورضوان الله تعالي علي الصحابة الذين تخرجوا علي يدي النبي الكريم فصاروا أئمة مهتدين وقادة مجاهدين . وبعد فإن علم التفسير يقوم علي أسس لفهم كتاب الله عز وجل الفهم الصحيح وإتباع ما جاء به النبي صلي الله عليه وسلم وقام بتفسيره من كتاب الله وكذلك أقوال الصحابة من بعدهم وتابعيهم واجتهاد علماء العصور من بعدهم .

اسباب اختيار الموضوع :-

1. في ظل الحوادث والمستجدات في هذا الزمن مع التكيف للتغيرات الحاصلة في هذا الزمان وتوفير كل ما يساعد في تعزيز الفهم الصحيح للتفسير
2. لأهمية العانية بالتفسير وفهمه لتيسير وحفظ القران الكريم لأنه مصدر التشريع واصول الفتيا

اهداف البحث :-

خدمة البحث العلمي وخاصة كتاب الله تعالي باعتباره اصل الدين الاسلامي بدراسة كتب التفسير المعتمدة وتزويد المكتبات الجامعية بمنهج دراسة لتفسير مناهجه.

أهمية البحث :

كان رسول الله صلي عليه وسلم بين القرآن لأصحابه وفق الحوادث والمستجدات فلم يفسر القران كاملا مما جعل مجالا للعلماء وباباً إمامهم ليجتهدوا في استنباط الإحكام والإسرار والحلول من القران الكريم كل حسب جهده وطاقته ولكن بالضوابط العلمية.

مشكلة البحث:

1. ظهور بعض اتجاهات الفكرية لبعض العلماء في العصور الحديثة
2. مستجدات بعض الحوادث للعصور الحديثة وعلاقتها بمناهج تفسير المحدثين
3. كيفية استنباط العلماء للأحكام لحل المشكلات المستجدة والقضايا المختلفة في عصرهم وعهدهم .

التعريف بالتفسير:

تمهيد:

التفسير هذا العلم الذي يقوم علي أسس لفهم كتاب الله عز وجل الطاهر الذي يتعمد علي صحيح المنقول من تفسير القران بالقران والسنة لأنها جاءت مبينة لكتاب الله أو مما قاله كبار الصحابة والتابعين لأنهم تلقوا هذا غالبا من كبار الصحابة وهذا المسلك بتوخي الآثار الواردة في معني الآية فيذكرها ولا يجتهد في بيان من غير أصل ويتوقف عم لا طائل تحته ولا فائدة في معرفته ما لم يرد فيه نقل صحيح.

معني التفسير في اللغة: التفسير لغة أصله من الفسر المكون من الفاء والسين والراء وهمزة المادة في أصلها تدل علي معني واحد وهو الكشف والابانة والظهور ويقال فسر الشيء يفسره ويسفره فسرا أو فسره أبانه [1](1) .

ويقال وأسفر الصبح إذا أضاء كما قال تعالى (وَالصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ)[2][2]

وأسفرت المرأة سفورا إذا كشفت وجهها أو أظهرته فالفسر والسفر يتقارب معناهما لتقارب لفظيهما لكن جعل الفسر لإظهار العين المعقول وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار [3][3] فقيل سفرت المرأة عن وجهها وأسفر الصبح ولذلك قال بعض العلماء الفسر مغلوب من السفر [4][4] ومع ذلك فان أهل اللغة وجدوا للفظة التفسير أربعة معاني في وضع اللغة [5][5]

المعني الأول: الكشف والابانة :

المعني الثاني: إطلاق الحصر عن المحصور تقول العرب وفسرت الدابة وفسرتها إذا ركبتها محصور لينطلق حصرها.

المعني الثالث: ما يستدل به على الشيء ومن ذلك لفظ (التفسيرة) وهي الماء القليل أو البول الذي ينظر فيه الأطباء لكشف علة المريض وفيه كذلك الكشف والابانة.

المعني الرابع التفسير يراد به التفصيل، قال ابن العباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى (وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً[6][6](وقال تفصيلا).

معني التفسير في الاصطلاح:

جاءت تعاريف كثير من علماء التفسير في معني التفسير والمراد الاصطلاحي منه وأشهر هذه التعريفات ما يلي : تعريف أبي حيان الأندلسي :

التفسير علم يبحث عن كيفية النطق بالألفاظ القران الكريم ومدلولاتها وإحكامها الافرادية والتركيبة ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وسمات ذلك [7][7] وهو يريد بقوله (يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القران)علم القراءات ويريد بقوله (مدلولاتها مدلولات تلك الالفاظ) وهو علم اللغة وبقوله وإحكامها الافرادية والتركيبة – علم الصرف وعلم الإعراب وعلم البيان وعلم البديع وبقوله ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب ما دلالته عليه بالحقيقة وما دلالاته عليه بالمجاز وبقوله إتمام ذلك بمعرفة النسخ وسبب النزول وقصة بعض ما أبهم في القران ونحو ذلك [8][3]

أهمية التفسير ومكانته:

القرآن كلام الله تعالى وهو مصدر هداية للبشرية جمعاء ومتعلم القرآن من أعظم الناس حظا وأوفرهم نصيبا، وذلك أن الله فضل العلم وشرفه وشرف أهله ورفع درجتهم والعلم بالقرآن وتفسيره هو أفضل العلوم ولذا قام النبي صلي الله عليه وسلم ببيان معاني القران وبيان ألفاظه لأصحابه رضي الله عنهم ولم يترك شيئا استحق البيان والتفسير في عهده وما سيشكل على الناس من بعده إلا بينه، وبهذا امتثل أمر الله عزه وجل خير امتثال وهو قوله (وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[9][1] فالاشتغال بتفسير القران الكريم هو قيام بوظيفة النبي صل الله عليه وسلم والاهتمام بعلمه اقتداء به عليه الصلاة والسلام ، ومن هنا اكتسب هذا العلم الشرف والمكانة . ولهذا كان ألصحابه رضوان الله عليهم يعتنون بمعاني القران الكريم وتفسيره فجمعوا بين التلاوة والتدبر وبين والاشتغال بالحفظ و الاشتغال بمعرفة المعاني والإحكام

فتعلموا العلم والعمل به معا وكان رضوان الله عليهم يرون أن علم التفسير هو من أهم ما يجب الاشتغال به وهو من أهم ما ينتفع به المرء في دينه ودنياه وفي حياته وآخرته وذلك لأن فهم القرآن وتدبر معانيه ليس بالأمر الهين علي عموم المسلمين نظرا لما يحويه من لغة عربية فصحي وما تضمنه من أساليب بلاغيه دقيقة وإيجاز في اللفظ وهنا تنجلي أهمية علم التفسير الذي به يدرك كل علم نافع صالح ومن جمعه جمع علم الأولين والآخرين ، وفي تفسير قول الله تعالى (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا)[10](2)

يقول ابن عباس رضي الله عنهما يعني تفسيره فانه قد قرأه البر و الفاجر [11](3)

وقال الحسن البصري ما أنزل الله إيه إلا و هو يحب أن تعلم فيما أنزلت و ما أراد بها.

وقال السيوطي: قد اجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفايات قال إذا عرفته هذا فصناعه التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث:

1. جهة الموضوع: لأنه موضوعه كلام الله الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلق على كثرت الرد ولا تنقضي عجائبه.
2. جهة الغرض: لان الغرض هو الاعتصام بالعروة الوثقى و الوصول لسعادة الحقيقة التي لا تفنى[12](4)
3. جهة شدة الحاجة: لان كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو اجلي مفتقر إلي العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهو متوقف علي العلم بكتاب الله . ومن هنا تظهر مكانة التفسير وأهميته وما يظهر أهميته أكثر وجوه منها :
1. التطواف مع كلام الله عز وجل والاجتهاد في بلوغ مراده سبحانه وتعالي وكماله : قال الحسن البصري رحمه الله ، ما انزل الله أية إلا وهو يحب إن تعلم فيما أنزلت وما أراد بها .
2. الوقوف علي حكم وإسرار القران الكريم التي تكشف بها مجاهيل الدنيا وتبلغ بها جنات الآخرة
3. معرفة إحكام الشرع من آياته والتي بها تنظيف حياة المسلم ويعبد ربه بها ويقيم بها دينه في نفسه وعلاقته مع غيره .
4. تحقيق مراد الله تعالي من إنزال القران ، وهو التدبير بكتابه العزيز [13](1) قال تعالي (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ)[14](2)
5. القيام بمهمة التفسير يدخل الإنسان في أهله الذين قال الله فيهم (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)[15](3)

مصادر التفسير :

المصدر الأول : القران الكريم :

القران الكريم يعتبر مصدر للتفسير واهم مصدر وأولها بالابتداء ويبحث فيه للوصول إلي معاني آيات الكتاب العزيز والاطمئنان إلي مقصود الرب تبارك وتعالى في كلامه ومن المهم معرفة أن القران كله وحدة واحدة يفسره بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا ولهذا ، قال ابن تيمه رحمه

الله في تفسير القران بالقران فهو اصح الطرق في ذلك فما أجمل في مكان فانه قد فسر في موضوع أخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضوع أخر[16](4)ووصف ابن القيم رحمه الله تفسير القرآن بالقران فقال: انه من ابلغ التفاسير والمراد باعتماد القران مصدر التفسير إن يبحث عن تفسير الآية والآيات في القران الكريم نفسه وان البيان لمعني الآيات لمعني الآية يكون في أية أخري من آيات القران ، وهو الذي يعرف بتفسير القران بالقران[17](5) وهذا المصدر هو المصدر الأساسي لأكثر المفسرين وأشهرهم اهتماما بهذا المصدر واعتناء وقياما بتفسير القران بالقران أربعة :

1. أولهم عبد الرحمن بن زيد بن اسلم رحمة الله فهو أكثر السلف اعتناء بتفسير القران بالقران .
2. الحافظ ابن كثير في كتابه تفسير القران العظيم يعتني تفسير القران بالقران .
3. ابن الأمير الصنعاني في كتابة مفاتيح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقران
4. الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في كتابه أضواء البيان في إيضاح القران بالقران .

ولتفسير القران بالقران طريقان هما:

الطريق الأول : تفسير النبي صلي الله عليه وسلم لأي القرآن بأية أخري مثال ذلك . ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه ، قال لما نزلت (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)[18](1) قلنا يا رسول الله صلي الله عليه وسلم (وأينا لم يظلم نفسه) قال ليس كما تقولون: (لم يلبسوا إيمانهم بظلم) بشرك أو لم تسمعوا إلي قوله تعالي إذا قال لقمان لابنه وهو يعظه (وَإِذْ قالَ لُقْمانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[19](2)

وما فسره النبي صلي الله عليه وسلم عند قوله تعالي (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ) بما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن الرسول صلي الله عليه وسلم قال (مَفَاتِحُ الْغَيْبِ)(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[20](3)

الطريق الثاني : اجتهاد المفسر بجمع نظائر الآية وأشباهها ومفردات ألفاظها والوقوف علي علل وحكم الآية لا لحاق ما فيه ذات العلة والحكمة بها ونحو ذلك .

ما يعين علي الوصول للمعني المراد ومثاله ما قال ابن الأمير الصنعاني في القران عن طريق جمع النظائر والأشباه في تفسير قوله تعالي (لَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)[21](4) يفسر قوله (باخع نفسك) فقال أي قائلها لعدم إيمان قومك قال تكرر هذا المعني في القران في مواضع منها سورة الكهف قال تعالى: (فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً) [22](5)

ونحو ذلك مما هو دليل علي شفقته صلي الله عليه وسلم علي أمته ومحبته

لإسلامهم وشدة حرصه علي هدايتهم مع تصريح الله له بأنه ليس عليه إلا البلاغ)[23](6)

المصدر الثاني : السنة النبوية

أول ما يبتدئ به المفسر في تفسيره القران الكريم أن، يبحث معاني الآيات وتفسيرها في القران الكريم أي أن يبحث معاني الآيات وتفسيرها في القران نفسه فإن لم يجدها في القران فان

المصدر الثاني الذي يلجأ إليه المفسر هو أن يبحث عن مراد الله من كلامه في القران هو السنة المطهرة علي صاحبها أفضل الصلاة والسلام لأنها هي المبينة للقران وهي الشارحة له ولقد أعطي الله عز وجل النبي صلي الله عليه وسلم جميع القران وأرسله سبحانه مبينا لكتابة موضحا لمشكله مفصلا لمجمله ومقيدا لمطلقه [24](1) قال تعالي (إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيماً)[25](2)

وقيل إن النبي صلي الله عليه وسلم فسر القران كله عمليا بخلقه وسلوكه وصفاته كلها (وقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلي الله عليه وسلم كان خلقه القران)[26](3) وهل فسر النبي صلي الله عليه وسلم القران أية أية بالبيان والشرح ؟ وقد قيل إنه صلي الله عليه وسلم لم يفضل ذلك إنما كان يبين ما يحتاج إلي بيان ثم ترك الواضح وما لا إشكال فيه مما لم يكن في بيانه وتفسيره حاجة في عهده صلي الله عليه وسلم .

وجوه تفسير السنة للكتاب :

لم يختلف العلماء في السنة تفسر القران وتبينه كما لو يعلم خلاف في أن السنة تبين القران وتفسيره من ثلاثة وجوه .

الوجه الأول : أن يكون بيانها للقران بيان تأكيد وتقرير فتأتي السنة مؤكدة لمعني جاء به القران الكريم.

الوجه الثاني : أن يكون بيانها بيان تفصيل وتفسير فتأتي السنة مفصله لمعني جاء في القران مجملا أو مقيدا لما جاء مطلقا أو مخصصة لما جاء عاما وقد سمي هذا الوجه بعضهم (بيان التفسير)

الوجه الثالث : ذكره العلماء وهو أن السنة تأتي ناسخة للكتاب وهذا ما يسميه بعضهم (بيان التبديل)[27](1) وعلي هذا فالسنة مع الكتاب ثلاثة ، سنة مقررة ، وسنة مفسرة وسنة ناسخة فالمقررة مثلا في قوله تعالى:(أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً)[28](2) يؤكد النبي صلي الله عليه وسلم هذا المعني بأمره بإقامة الصلاة ويؤكد وجوب إقامتها وعاقبة من لم يقمها علي وجهها، ففي ما (أخرجه مالك بن داؤود) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم قال (خمس صلوات كتبهن الله علي خلقه فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقنَّ كان له عند الله عهدا أن يدخله الجنة)[29](3)

المصدر الثالث :أقوال الصحابة :

وتفسير القران بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم هو الطريق الثالث الذي يتبعه المفسر إذا قصد بلوغ المراد من كلام الله عز وجل لان الصحابة هم الذين عاصروا التنزيل وشاهدوا من نبي الله تعالي وهو يفسر كتاب الله ويبين معانيه بما أراه الله ، فكان الأخذ عنهم والتلقي منهم وتقديم تفاسيرهم علي غيرهم ضرورة ، وقد جعل الحاكم في تفسيره تفاسير الصحابة رضي الله عنهم بمنزلة المرفوع إلي النبي صلي الله عليه وسلم ، لكونهم الجيل الذي لم يشهد التاريخ مثيلا لهم في علمهم وإدراكهم وسعة نظرتهم لأمور الحياة والكون والإنسان مع صفاء نفوسهم

وطهارة قلوبهم وشدة إخلاصهم لله عز وجل وكبير محبتهم للنبي صلي الله عليه وسلم وعظيم تضحيتهم لنشر الإسلام وحمايته وأشهرهم الخلفاء الراشدين الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبي ابن كعب وزيد ابن ثابت وأبو موسي الأشعري وعبد الله بن الزبير رضوان الله عليهم [30](4)

أقوال التابعين :

تلقي التابعين دروس التفسير من أعلام الصحابة واعتمدوا علي أقوالهم في فهم القران الكريم كما اعتمدوا علي قدرتهم في الفهم والنظر الاجتهاد وكما اشتهر بعض أعلام الصحابة بالتفسير والرجوع عليهم في استجلاء بعض ما خفي من كتاب الله ، اشتهر أيضا بالتفسير أعلام من التابعين تكلموا في التفسير ووضحوا لمعاصريهم خفي معانيه ومع ذلك فقد اختلف في اعتماد أقوالهم في التفسير .(وروي عن الإمام احمد ابن حنبل المنع من الاعتماد علي أقوالهم لكن أجاز الجمهور ذلك أي اعتماد أقوال التابعين في التفسير والاحتجاج بها . [31](5)

وهناك كثير من أنواع التفسير المأخوذ بها وغير المأخوذ بها وعلى سبيل المثال .

التفسير المذموم : فهو أن يفسر القران بدون علم أو يفسر حسب الهوى مع الجهالة بقوانين اللغة أو الشريعة ويحمل صاحبه كلام الله على حسب الهوى بمذهبه الفاسد وبدعته الضالة ويقصد بذلك الفرق الضالة ومؤلفاتهم من الكتب عن تفسير كتاب الله. .

الملامح العامة للتفسير في العصر الحديث:

التفسير في العصر الحديث مقتبس من التفسير في عصوره السابقة فيما يختص بعلوم الشريعة وعلوم اللغة العربية وليس فيه من جديد إلا من زاوية التنسيق والاختيار والترجيح في بعض الأحيان وينبني على الاتجاه العلمي والاتجاه الأدبي والاجتماعي والاتجاه المذهبي والاتجاه العلمي وكان للعلماء موقف تجاه هذا التفسير العلمي[32](1)

وينقسم إلي قسمين :

القسم الأول: مؤيد لهذا الاتجاه و يرى أن فيه تجديد تستدعيه الحاجة وتفرضه ظروف الحياة العصرية

القسم الثاني: قسم معارض لهذا النوع من التفسير ويضع كثير من المحاذير إمام المشتغلين به ويرى أن ربط مقررات العلم المتغيرة بحقائق القران الثابتة أمر يشكل خطر على هذا النص المقدس خاصة وعلى فكر المسلمين عامة، والتفسير قد قطع شوطا بعيدا على يد قدماء المفسرين حتى كاد يسد منافذ القول فيه ، فان نظر الإنسان إلى ناحية من نواحيه يجد المفسرين قد تناولوها بالإسهاب والبحث الدقيق سواء كان ذلك من ناحية اللغة أو النحو أو الفقه أو العقيدة أو القصص أو الأخبار أو التاريخ أو غير ذلك من العلوم ، وانحصر عمل المشتغلين بالتفسير بعد ذلك في تلخيص ما قالوه وجمع ما تفرق والتعليق على ما غمض[33](2) وترجيح ما اختلف فيه ولم يأتوا بجديد في التفسير وكاد أن يكون عمل المفسرين قد يتوقف عند هذا الحد فأصيب التفسير بالجمود، شانه في ذلك كسائر العلوم الأدبية واللغوية [34](3)

وفي عصور التخلف والانحطاط خيم الشرق الإسلامي في ظلام التخلف بحكم ما فرضه عليه

من عوامل الإذلال والقهر في ظل أنظمة الحكم الفاسدة وسيطرت الاستعمار على كثير من بلاد الشرق و توارت في أضواء هذا الظلام مبادئ الإسلام ومثله العليا واحتلت مكانها البدع والعادات المنكرة وسوء التأويل وقصور الرؤية، وعلى أثر النهضة الأوربية الحديثة التي طالت مناحي لحياة نهض العالم الإسلامي في منتصف القرن الثالث عشر الهجري علي بوادر هذه النهضة الأوربية و كان الشرق الإسلامي يعتبر متخلفا إذا قيس بما حدث في أوربا فأحس الشرق بوحشة بين ماضي غزير وحاضر غير كريم فلا هو موصول الأسباب بهذا الماضي ولا هو مؤهل للنهوض بدور الزيادة من جديد ومما لا شك فيه أن كثير من القضايا التي تعرض لها قدامي المفسرين لم تعد تساير العصر لأنها ليست من معطياته الفكرية في شيء ومن هنا اتجه كثير من المحدثين إلي التفسير وهم يحاولون الربط بين ما جد في حياتهم من قضايا وبين كتابهم ولما كانت خطوات العلم في هذا العصر في أوسع الخطى ولما كان القران الكريم يحمل في طياته الكثير مما يفسر الظواهر الكونية والخلقية التي تطرق إليها ، فقد حاول بعض المحدثين الربط بين هذه التفسيرات القرآنية وبين تفسيرات العلم بما يؤكد سبق القران الكريم في هذا المجال ويكشف عن وجه إعجازه العلمي[35](1)

نموذج من تفسير القدامى (ابن كثير منهجه ونموذج من تفسيره)

الطريقة التي اتبعها الحافظ ابن كثير في كتابه هي أن يذكر الآية، ثم يذكر معناها العام، ثم يورد تفسيرها من القرآن أو من السنة أو من أقوال الصحابة والتابعين، وأحيانا يذكر كل ما يتعلق بالآية من قضايا أو أحكام، ويحشد لذلك الأدلة من الكتاب والسنة، ويذكر أقوال المذاهب الفقهية وأدلتها والترجيح بينها. وقد أبان ابن كثير عن طريقته في مقدمة تفسيره، فقال: «فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك فعليك بالسنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، لاسيما علماءهم وكبراءهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود -رضي الله عنهم أجمعين-وإذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين».

وهذا نموذج من تفسيره لقول الله تعالى:

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[36] .

قال: قرأ السبعة والجمهور بتشديد الياء من(إياك) وقرأ عمرو بن فايد بتخفيفها مع الكسر وهي قراءة شاذة مردودة؛ لأن «إيا» ضوء الشمس. وقرأ بعضهم: «أياك» بفتح الهمزة وتشديد الياء، وقرأ بعضهم: «هياك» بالهاء بدل الهمزة، و {نستعين} بفتح النون أول الكلمة في قراءة الجميع سوى يحيى بن وثاب والأعمش فإنهما كسراها وهي لغة بني أسد وربيعة وبني تميم وقيس، والعبادة في اللغة من الذلة، يقال: طريق معبد، وبعير معبد، أي: مذلل، وفي الشرع:

عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف. وقدم المفعول وهو (إياك) ، وكرر؛ للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة. والدين يرجع كله إلى هذين المعنيين، و كما قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة، والتفويض إلى الله عز وجل. وهذا المعنى في غير آية من القرآن، كما قال تعالى: (فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)[37] (قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا)[38] (رَبَّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَهَ إِلا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا)[39] ، وكذلك هذه الآية الكريمة: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ). وتحول الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب، وهو مناسبة، لأنه لما أثنى على الله فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى؛ فلهذا قال: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وفي هذا دليل على أن أول السورة خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى، وإرشاد لعباده بأن يثنوا عليه بذلك؛ ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك، وهو قادر عليه،[40]

نموذج من تفسير المحدثين (محمد رشيد رضا منهجه ونموذج من تفسيره):

يقول محمد رشيد رضا: كنت من قبل اشتغالي بطلب العلم في طرابلس الشام مشتغلا بالعبادة ميالا إلى التصوف، وكنت أنوي بقراءة القرآن الاتعاظ بمواعظه لأجل الرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا، ولما رأيت نفسي أهلا لنفع الناس بما حصلت من العلم - على قلته - صرت أجلس إلى العوام في بلدنا أعظهم بالقرآن مغلبا الترهيب على الترغيب، والخوف على الرجاء، والإنذار على التبشير، والزهد في الدنيا على القصد والاعتدال فيها. ..... هذا وإنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته (يعني شيخه) خالفت منهجه - رحمه الله تعالى - بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيرا لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر، أو يقوي حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة، أو يحل بعض المشكلات التي أعيا حلها بما يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس، وأستحسن للقارئ أن يقرأ الفصول الاستطرادية الطويلة وحدها في غير الوقت الذي يقرأ فيه التفسير لتدبر القرآن والاهتداء به في نفسه، وفي النهوض بإصلاح أمته وتجديد شباب ملته الذي هو المقصود بالذات منه،...

(إياك نعبد وإياك نستعين ما هي العبادة؟ يقولون هي الطاعة مع غاية الخضوع، وما كل عبارة تمثل المعنى تمام التمثيل، وتجليه للأفهام واضحا لا يقبل التأويل، فكثيرا ما يفسرون الشيء ببعض لوازمه ويعرفون الحقيقة برسومها، بل يكتفون أحيانا بالتعريف اللفظي ويبينون الكلمة بما يقرب من معناها، ومن ذلك هذه العبارة التي شرحوا بها معنى العبادة، فإن فيها إجمالا وتساهلا. وإننا إذا تتبعنا آي القرآن وأساليب اللغة واستعمال العرب لـ « عبد » وما يماثلها ويقاربها في المعنى - كخضع وخنع وأطاع وذل - نجد أنه لا شيء من هذه الألفاظ يضاهي « عبد « ويحل محلها ويقع موقعها، ولذلك قالوا: إن لفظ « العباد « مأخوذ من العبادة، فتكثر إضافته

إلى الله تعالى، ولفظ « العبيد « تكثر إضافته إلى غير الله تعالى؛ لأنه مأخوذ من العبودية بمعنى الرق، وفرق بين العبادة والعبودية بذلك المعنى، ومن هنا قال بعض العلماء: إن العبادة لا تكون في اللغة إلا لله تعالى،...

فقوله تعالى: « (وإياك نستعين « متمم لمعنى قوله: « (إياك نعبد « لأن الاستعانة بهذا المعنى فزع من القلب إلى الله وتعلق من النفس به، وذلك من مخ العبادة، فإذا توجه العبد بها إلى غير الله تعالى كان ضربا من ضروب العبادة الوثنية التي كانت ذائعة في زمن التنزيل وقبله، وخصت بالذكر لئلا يتوهم الجهلاء أن الاستعانة بمن اتخذوهم أولياء من دون الله، واستعانوا بهم فيما وراء الأسباب المكتسبة لعامة الناس، هي كالاستعانة بسائر الناس في الأسباب العامة، فأراد الحق جل شأنه أن يرفع هذا اللبس عن عباده ببيان أن الاستعانة بالناس فيما هو في استطاعة الناس إنما هو ضرب من استعمال الأسباب المسنونة، وما منزلتها إلا كمنزلة الآلات فيما هي آلات له، بخلاف الاستعانة بهم في شئون تفوق القدرة والقوى الموهوبة لهم، والأسباب المشتركة بينهم، كالاستعانة في شفاء المرض بما وراء الدواء، وعلى غلبة العدو بما وراء العدة والعدة، فإن ذلك مما لا يجوز الفزع والتوجه فيه إلى غير الله تعالى صاحب السلطان الأعظم، على ما لا يصل إليه سلطان أحد من العالم

الخاتمة:

إن أكثر ما ينبغي الاشتغال به بلا نزاع هو القران الكريم وعلومه فمنه الفقه في الدين وفيه إحكام التصرفات وفي منطقه ومفهوم المعاني والعلم وبفهمه يعلو شان العقل والتفكير وبتلاوته تزداد الحسنات وفي التزام إحكامه الاستقامة الكاملة وفي إقامة حدوده الهدى والرشاد لذلك كان لابد من إكثار الدراسات وتكثيفها حول مناهج وطرق ومسالك الفهم للقران الكريم ببيان المناهج الرشيدة والطرق القويمة والمسالك المستقيمة على مناهج النبوة وطرق السلف الصالح ومسالك العلماء من التابعين بإحسان،

هذه الدراسة بدأت ببيان مكانه التفسير وأهميته لتعلقه بكتاب الله تعالى وانتهت بنماذج لتفسير القدامى والمحدثين، وقد توصلت إلي النتائج الآتية:

النتائج:

أولا: إن المفسرين المحدثين تلاميذ لمن سبقهم من أئمة التفسير

ثانيا: قل ما نجد اختلافا كبيرا بين القدماء والمحدثين في التفسير

ثالثا: التزام كل المفسرين بقواعد التفسير المعتمدة

رابعا: اختلاف الزمان والمكان يعطي مزيدا من الفهم للقران الكريم وتفسير الإمام ابن كثير وضح انه يتوسع في تفسير الآية ويأخذ بأقوال الأئمة الذين اخذ منهم ويستدل بالأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين ويستخرج الإحكام الفقهية من الآيات بعد عرض جميع الأقوال.

إما الإمام محمد رشيد رضا فيوضح تفسير الآية بأية أخري ويأخذ بتفسير إمامه محمد عبده ويأخذ أيضا من تفسير ابن كثير ويربط تفسير الآية بقضايا عصره أحيانا.

التوصيات:

1. نوصي جميع الدارسين وخاصة الذين يدرسون في قسم التفسير بالاهتمام بجميع التفاسير لان كل تفسير يختلف بلا شك عن الأخر وذلك ليكونوا دعاة أسلامين عن علم ودراية.
2. أن يلم الدارسون بكتاب الله إلماما تاماً حتي يتمكنوا من تفسير الآيات بقواعد التفسير المعتمدة.

الهوامش:

(1)انظر البرهان في علوم القران للزركشي ج 1147- 148.

(2)سورة المدثر الآية (34).

(3)انظر المفردات في غريب القران للراغب الاصفهاني مادتي سفر وفسر ص 234/233.

(4)انظر القاموسي المحيط للفيروز أبادي مادة فسر / وفسر ص 587.

(5)انظر المعاني اللغوية في لسان العرب لابن منظور الإفريقي ج5 ص 55.

(6)سورة الفرقان الآية (33)

(7)انظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج 1ص 13.

(8)انظر الإتقان في علوم القران الإمام السيوطي ج 2 ص 492.

(9)سورة النحل الآية (44)

(10)سورة الفرقان الآية (269)

(11)انظر تفسير القران العظيم لابن كثير ج 1 ص(323)

(12)انظر تاريخ الأمم والملوك لابن جرير بن يزيد الطبري ج 1 ص 18.

(13)انظر تفسير ابن جرير الطبري ج1 ص 18-19 سورة ص الاية 29.

(14)سورة ص الآية (29)

(15)سورة البقرة الآية (121)

(16)انظر مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية نشر دار القران الكريم ج 1 ص 29

(17)انظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ط 1392 نشر دار القران الكريم مؤسسة الرسالة بيروت ج 1 ص 29- 3

(18)سورة الإنعام الآية (82)

(19)سورة لقمان الآية (13)

(20)سورة لقمان- الآية (34)

(21)سورة الشعراء الآية (3)

(22)سورة الكهف الآية (6)

(23)انظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمه ج 1 ص

(24)أنظر أصول الفقه الإسلامي توجيه ج1 ص463

(25)سورة النساء الآية (105)

(26)انظر موطأ مالك ج1 ص (114-115)

(27)انظر أصول الفقه الإسلامي وهبه الزحيلي ج1ص 463

(28)سورة الإسراء الآية (78)

(29)انظر : موطأ مالك ج1 ص (114-115)

(30)انظر البرهان في علوم القران الزركشي ج 2 ص 158.

(31)انظر نفس المرجع السابق ص 158-159

(32)انظر مباحث في علوم القران لمناع القطان مكتبة وهبة الزحيلي القاهرة ط 198/1401ص 110

(33)نفس المرجع السابق ص 110-111

(34)انظر مباحث في علوم القران لمتاع القطان القاهرة – مكتبة وهبة الزحيلي ج 1 ص 11

(35)انظر تفسير القران الحكيم/الشهير بالمنار لمحمد رشيد رضا مكتبة دار الفكر ط2 د (ج1 ص96)

(36)سورة الفاتحة الآية 5

(37)سورة هود:الآية 123

(38)سورة الملك الآية: 29

(39)سورة المزمل:الآية 9

(40)تفسير القرآن العظيم،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م

المصادر والمراجع:

(1)أصول التفسير ومناهجه للدكتور عمر يوسف حمزة – الدوحة / قطر – الطبعة الثانية د(ت)
(2)تفسير القران الكريم ومصادره واتجاهاته لابن عبد رحمة دار الشؤون الثقافية والنشر / سلسلة رابطة العالم الإسلامي العدد 1202 العام 1423ه
(3)الجامع لأحكام القران لأبي عبد الله محمد احمد الأنصاري القرطبي – تحقيق سالم المصطفي البدوي / دار الكتب العلمي بيروت – لبنان ط 671ه
(4)تفسير جامع البيان للطبري. محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (المتوفى: 905هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م.
(5)الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671 هـ)المحقق : هشام سمير البخاري، الناشر : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة : 1423 هـ/ 2003 م
(6)تفسير ابن كثير. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [700 774- هـ]المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية 1420هـ - 1999 م.
(7)فسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي الناشر : دار الحديث – القاهرة، مصر الطبعة الأولى، دون تاريخ.
(8)زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي-الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت لبنان ،الطبعة الثالثة ، 1404ه.لسان العرب لابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور دار صادر بيروت (ط. ت)
(9)البرهان في علوم القران أبو عبدالله بدران محمد بن عبد الله الزركشي – بيروت / دار المعرفة ط 1416ه – 1990 م
(10)بداية المجتهد و نهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى : 595هـ)الناشر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر الطبعة : الرابعة، 1395هـ/1975م
(11)الفقه الإسلامي وأدلته، تأليف ا.د. وهبه الزحيلي، دار الفكر،ط.8، 1425.تفسير القران العظيم للإمام ابن كثير القاهرة مكتبة الإيمان بالمنصورة ط -1421 2001م
(12)من مناهل العرفان في علوم القران محمد عبد العظيم الزرقاوي القاهرة دار احياء الكتب العربية ط (ط . ت)
(13)العميد في علم التجويد، محمود بن علي بسّة المصري (المتوفى: بعد 1367هـ)-المحقق: محمد الصادق قمحاوى-الناشر: دار العقيدة – الإسكندرية ،الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م.
(14)سبل السلام، محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (المتوفى : 1182هـ)،الناشر : مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة : الرابعة 1379هـ/ 1960م.
(15)نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الناشر : إدارة الطباعة المنيرية ، بون تاريخ.
(16)المدخل إلى فقه المعاملات المالية المال الملكية العقد ، محمد عثمان شبير • حالة الفهرسة: •دار النفائس للنشر والتوزيع، سنة النشر: 1430 – 2010م.
(17)مباحث في علوم القران، مناع القطان مكتبة المعارف والنشر مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض طبعة 1421ه – 2000م